

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح حديث أسماء بن زيد "أَرْسَلْتُ بَنْتَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِنَّ ابْنِي قَدْ احْتُضِرَ فَأَشْهَدُنَا" ٢

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فكنا نتحدث عما رواه أسماء بن زيد رضي الله تعالى عنه- في خبر ابنة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حينما احتضر ابنتها، أو بنتها، على خلاف في ذلك كما سبق.

وهل هذه البنت لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هي زينب وأن ابنتها أمامة، أو أنها فاطمة وأن هذا الابن هو محسن، كما ي قوله بعض أهل العلم، أو أنها رقية زوجة عثمان رضي الله تعالى عنه- وأن ابنتها عبد الله، أو غير ذلك مما قيل.

وعرفنا معنى الاحتضار، وأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعث إليها بالسلام، وأمرها بأن تصبر وتحتسب، وقال: ((إِنَّ اللَّهَ مَا أَخْذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجْلٍ مُّسْمَى)).

فأرسلت إليه نقسم عليه ليأتينها، وجاء في بعض ألفاظ الحديث أنها أرسلت إليه ثلاثة قاما في الثالثة، وأقسمت عليه أن يأتيها، فقام -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال -رضي الله عنهم-، ومن هؤلاء الرجال: راوي هذا الحديث، وهو أسماء بن زيد رضي الله عنه- وكذلك عبادة بن الصامت، وعبد الرحمن بن عوف، جاءوا مع النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حينما قام ليشهد ذلك المحتضر.

فرفع إلى رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الصبي، فأقعده في حجره، وهذا يدل على صغره. ونفسه تقعق، يعني: هذا الصبي قد وصل إلى حال الاحتضار، بمعنى: أن لنفسه وحشرجه صوتاً يشبه صوت الجلد اليايس البالي، فإن القربة القديمة البالية يكون لها صوت إذا حركت.

ففاضت عيناه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهذا مما جبل عليه -عليه الصلاة والسلام- من الرحمة والشفقة، ولا شك أن هذا المقام مقام مؤثر، وتصور في حال أو لاثك لربما كان الولد يعاني الموت، وسكتات الموت بسبب الحمى، أو بسبب علة يسيرة في زماننا هذا، لا مستشفى، ولا طبيب، ولا أدوية، وإنما يبقى هكذا حتى يموت، فالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فاضت عيناه لما شاهد ذلك، فقال سعد بن عبادة: يا رسول الله ما هذا؟ وفي رواية: ما هذا البكاء؟ وفي بعض الروايات أن الذي قال ذلك هو عبادة بن الصامت رضي الله عنه-، والأقرب أن الذي قاله هو سعد بن عبادة -رضي الله عنه-.

وقد جاء في بعض رواياته: أتبكي وقد نهيت عن البكاء؟^(١)، استغرب من هذا البكاء الذي صدر من رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فظن أن ذلك من الجزع، ومن النياحة.

فقال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- معلماً لهم: ((هَذِهِ رَحْمَةٌ، جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ)).

^(١) - أخرجه الترمذى، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت (٣٢٨/٣)، رقم: (١٠٠٥).

وفي رواية: ((في قلوب من شاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)) متقد علىه.
ومعلوم الحديث المشهور الذي جرى العلماء على أن يلفتون أول ما يلقنون طالب العلم في مبدأ الطلب:
((الراحمون يرحمهم الله، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء))^(٢)، والجزاء من جنس العمل،
فالذي يرحم الخلق يرحمه الله -عز وجل.

هذا يستفاد منه: أن البكاء المحرم هو ما كان على سبيل التسخط، والجزع، ورفع الصوت، والنهاحة، فإن
صاحب ذلك لطم الخدود، وشق الجيوب، وتنف الشعر فإن ذلك يكون أعظم، وأما دمع العين، وحزن القلب،
فإن ذلك مما لا يؤخذ عليه الإنسان، لاسيما وأنه أمر لا يدخل في كسبه، ولا يدخل في طاقته وقدرته.
فالإنسان قد لا يستطيع أن يسيطر على مشاعره، والله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وإنما الشيء المحرم الذي
ينبغي أن يتبعده عنه هو النهاحة، ورفع الأصوات، ولطم الخدود، وشق الجيوب، وذكر مآثر الميت، أو ذكر
أمور في أوصاف ومحامد قد لا تكون فيه، كما جرت عليه عادة العرب في الجاهلية، فهو يعذب بهذا الكلام
الذي يقال إذا كان برضاه أو بوصيته، أو يعلم أنهم سيفعلون ذلك وما نهاهم، والله تعالى أعلم.
فنسأل الله -عز وجل- أن يلهمنا وإياكم الصبر والثبات، وأن يشرح صدورنا، وأن يغفر لنا ولوالدينا
ولإخواننا المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

^٢ - أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة (٤٤٠/٤)، رقم: (٤٩٤٣)، والترمذى، كتاب البر والصلة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في رحمة المسلمين (٣٢٣/٤)، رقم: (١٩٢٤)